جُزْءٌ فِيهِ
ٱلْكَلَامُ عَلَىٰ حَدِيثِ
((يَتْبَعُ ٱلْمَيِّتَ ثَلَاثٌ))

دار اللباب

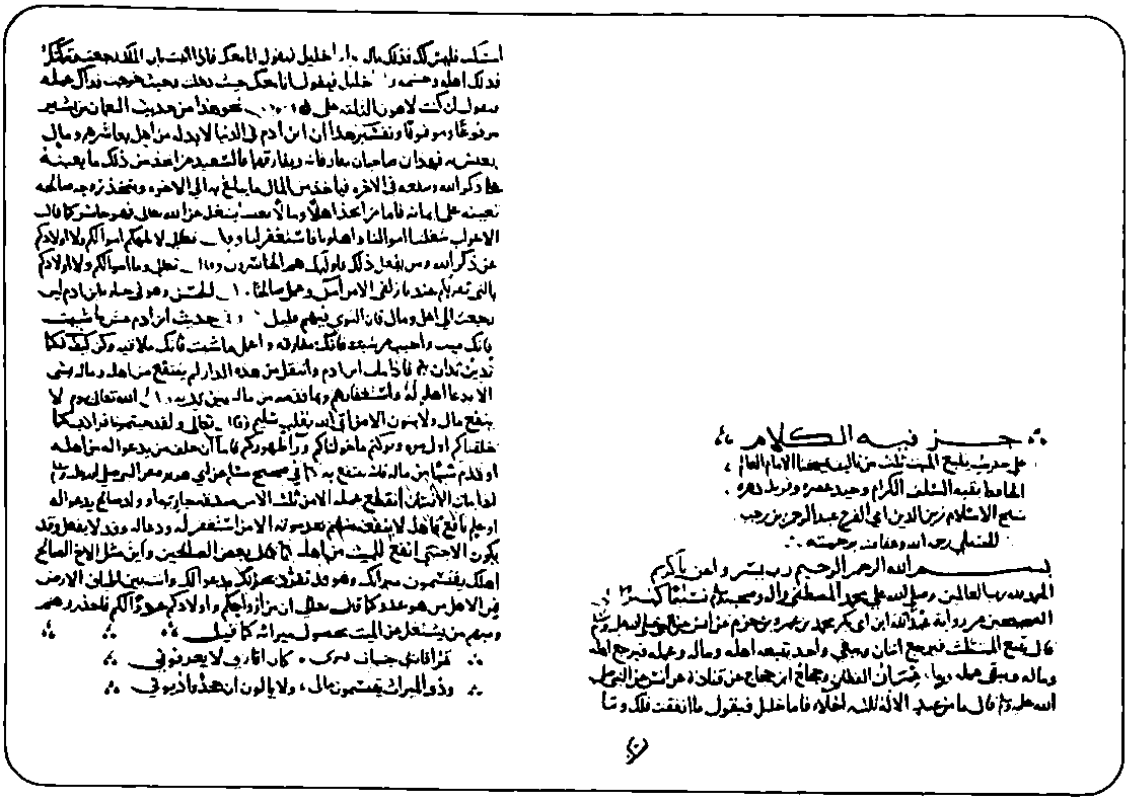

جزء فيه الكلام
على حديث يتبع الميت ثلث من اليه فيعيدها الامام العالم
الحافظ بقية السلف الكرام وحيد عصره وفريد دهره
شيخ الاسلام زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن رجب
الحنبلي رحمه الله وعفا عنه برحمته
بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد المصطفى واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
الصحيحين من رواية عبد الله ابن ابي بكر محمد بن عمرو بن حزم عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يتبع الميت فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله
وماله ويبقى عمله وفي رواية لمسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان يرجع اهله
واله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اهله
واله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اثنان
يرجع اهله وماله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله
فيرجع اهله واله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله
فيرجع اثنان يرجع اهله وماله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله
وماله وعمله فيرجع اهله واله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله
وماله وعمله فيرجع اثنان يرجع اهله وماله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت
ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اهله واله ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت
ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اثنان يرجع اهله وماله ويبقى عمله وفي رواية لهما
يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اهله واله ويبقى عمله وفي رواية لهما
يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اثنان يرجع اهله وماله ويبقى عمله
وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اهله واله ويبقى عمله
وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اثنان يرجع اهله وماله
ويبقى عمله وفي رواية لهما يتبع الميت ثلاثة اهله وماله وعمله فيرجع اهله واله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل العمل الصالح ميراثَ المرء من دنياه، والصلاة والسلام على البشير النذير المبعوث بأشرف كتاب وأعلاه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فلا ينفكُّ الإنسان في حياته عن علائق الدنيا، وهي كثيرة شاغلة آسرة، فابتلاء العبد: عدم الوقوف عندها، والركون إليها، وإنما يأخذ منها زاد الآخرة، أو يزرع فيها ما يثمر أجراً وثواباً دائماً بعد انتهاء أجله، وانقطاع أنفاسه.

وقد نصح النبي الهادي ﷺ أمته وذكَّرها وأرشدها إلى إحسان العمل، كي يكون مرافقاً للمرء بعد حلول الأجل، فيكون مؤنساً له في وحشة قبره، شافعاً له عند ربه، سبباً له في رفع درجاته.

فروى أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

وعلى ما هو المعتاد من الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله، فقد تناول هذا الحديث بالشرح مستدلاً بالآيات والأحاديث والآثار كي يكون عظة وذكرى ينتفع بها المؤمن، ويتعاهد هذا المعنى في نفسه؛ ليُكثر من العمل الذي يتبعه بعد وفاته.

وفقنا الله للعمل الصالح، وثبتنا عليه، وجعله سائقاً لنا إلى جنات النعيم بمنه وكرمه. آمين.

ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وسماه «شرح حديث يتبع الموتى ثلاث»، وقد جاء مصحفاً في المطبوع منه: «ينفع الموتى»!

وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف»، (ص: ٢٧٦)، وسماه: «شرح حديث يتبع الميت ثلاث».

وقد اعتمدت في إخراجه على نسختين:

١ـ النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي الرسالة الثامنة من المجموع (١٥٧) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (٥) لوحات (من ٦٣/ أ إلى ٦٧/ أ).

وجاء العنوان فيها: «جزء فيه الكلام على حديث يتبع الميت ثلاث».

لم يُذكر اسم الناسخ، لكنه وصف المؤلف بشيخنا، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى سنة ٨٥٢هـ.

٢ـ نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة الحادية عشرة من المجموع (٥٣١٨) ـ وقد سبق وصفه في المقدمات ـ وتقع في (٨) لوحات (من ١٧٣/ أ إلى ١٨٠/ ب).

وجاء العنوان فيها: «جزء فيه الكلام على حديث يتبع الميت ثلاث».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

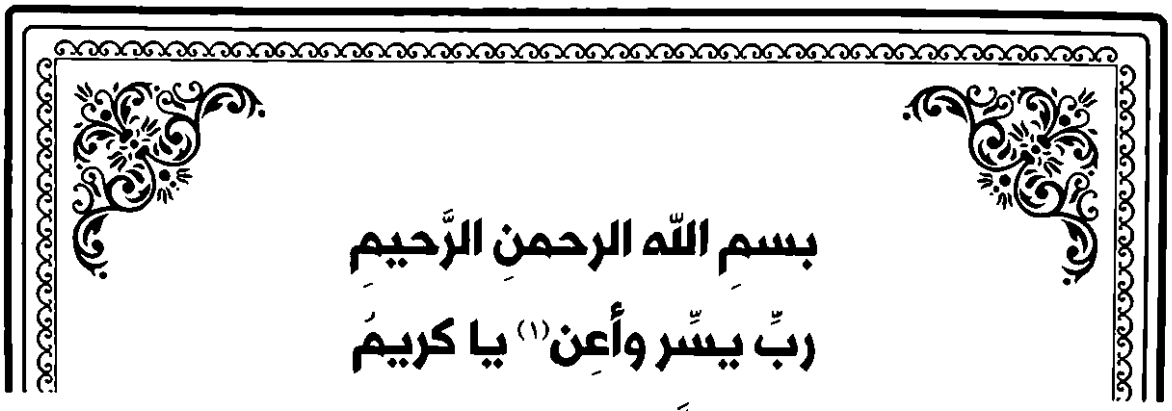

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرَّحيمِ

ربِّ يسِّر وأعِن[1] يا كريمُ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّدٍ المُصطفى وآلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

في «الصَّحيحينِ» مِن روايةِ عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ عمرِو بنِ حَزمٍ، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**يَتْبَعُ[2] الميِّتَ ثلاثٌ[3]، فيرجعُ اثنانِ ويبقى واحدٌ، يتبعُه أهلُه ومالُه وعمَلُه، فيرجعُ أهلُه ومالُه، ويبقى عملُه**»[4].

ورواه عمرانُ القطَّانُ وحجَّاجُ بنُ حجَّاجٍ، عن قتادةَ، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مِن عبدٍ إلَّا له ثلاثةُ أخِلَّاءَ، فأمَّا خليلٌ فيقولُ: ما أنفقتَ فلكَ وما أمسَكْتَ فليس لكَ، فذلك مالُه، وأمَّا خليلٌ فيقولُ: أنا معكَ فإذا أتيتَ بابَ الملِكِ رجعتُ وتركتُكَ، فذلك أهلُه وحشَمُه، وأمَّا خليلٌ فيقولُ: أنا معكَ حيثُ دخلتَ وحيثُ خرجتَ، فذاك عملُه، فيقولُ: إن كنتَ لأَهْونَ الثَّلاثةِ علَيَّ»[5].

---

(١) «وأعن»: من (ت).

(٢) ضبطها القسطلاني في «إرشاد الساري» (٩/ ٢٩٩) كذلك، وذكر أن رواية أبي ذر: يَتَّبِع.

(٣) كذا في النسختين، وفي الصحيحين: «ثلاثة»، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠)، والإمام أحمد (١٢٠٨٠)، وغيرهم.

(٥) أخرجه الطيالسي (٢١٢٥)، والبزار (٧٢٦٥)، وابن حبان (٣١٠٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥١٨)، والحاكم (١/ ٣٧١) وصححه، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٦٩).

وفي حديث حجاج في «مشيخة ابن طهمان» (١٨٦)، وعند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد احتجا جميعاً بالحجاج بن الحجاج، ولا =

ويُروى نحوُ هذا مِن حديثِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ مرفوعاً وموقوفاً[١].

وتفسيرُ هذا: أنَّ ابنَ آدمَ في الدُّنيا لا بدَّ له مِن أهلٍ يُعاشِرُهم، ومالٍ يعيشُ بـه، فهذانِ صاحبانِ يُفارقانِه ويُفارقُهما، فالسَّعيدُ مَن اتَّخذَ مِن ذلك ما يُعينُه على ذكرِ اللهِ تعالى وينفعُه في الآخرةِ، فيأخذُ مِن المالِ ما يبلُغُ بهِ إلى الآخرةِ، ويتخذُ زوجةً صالحةً تعينُه على إيمانِه، فأمَّا مَنِ اتَّخذَ أهلاً ومالاً يشغلُه عنِ اللهِ تعالى فهو خاسرٌ، كما قالتِ الأعرابُ: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١] وقالَ تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

قـال الحسَنُ وهـو في جنازةٍ: ابنَ آدمَ! لئن رجَعْتَ إلى أهلٍ، ومالٍ فإنَّ الثَّوِيَّ فيهم قليلٌ[٢].

وفي حديثٍ: «ابنَ آدمَ! عِش ما شئتَ فإنَّكَ ميِّتٌ، وأحبِبْ مَن شئتَ فإنَّك مُفارِقُه، واعمَل ما شئتَ فإنَّكَ مُلاقيهِ، وكن كيفَ شِئتَ فكما تَدِينُ تُدَانُ»[٣].

= أعرف له علة، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وفي حاشية (ف): «فافهم ترشد».

(١) أخرج المرفوع: الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤ـ٧٥) وقال إنه على شرط مسلم، وأخرج المرفوع وأشار إلى الموقوف البزار (٣٢٧٢) وأخرج الموقوف: ابن أبي شيبة (٣٥٨٦٨).

(٢) لم أجد أوله، وآخره: أخرج عبد الله بن أحمد في زيادات «الزهد» (١٥٤٩) نحوه عن الحسن.

(٣) هذا الحديث وقع فيه إدراج، وتلفيق من أحاديث متعددة، أما «ابن آدم» فلا يوجد في شيء من ألفاظه، بل في بعضها: «يا محمد»، وما يليه أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٨٤٥) وفي «الصغير» (٧٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٠٢) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآخره: «كن كيف شئت...» أخرجه عبد الرزاق في «جامع معمر» (٢٠٢٦٢) عن أبي قلابة مرسلاً.

فإذا ماتَ ابنُ آدمَ، وانتقلَ مِن هذه الدَّارِ لم يَنتفِع مِن أهلِه ومالِه بشَيءٍ إلَّا بدُعاءِ أهلِه له واستغفارِهم، وبما قدَّمَه مِن مالِه بين يديهِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

فأمَّا إن خلَّفَ مَن يدعو له مِن أهلِه، أو قدَّمَ شيئاً مِن مالِه فإنَّه يَنتفِعُ به، كما في «صحيحِ مسلمٍ»، عن أبي هريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُه إلَّا مِن ثلاثٍ؛ إلَّا مِن صدَقةٍ جاريةٍ، أو ولَدٍ صالحٍ يدعو له، أو عِلمٍ نافعٍ»[1].

فأهلُه لا ينفعُه منهم بعدَ موتِه إلَّا مَن استغفرَ له ودعا له، وقد لا يفعَلُ، وقد يكونُ الأجنبيُّ أنفعَ للميِّتِ مِن أهلِه، كما قال بعضُ الصَّالحينَ: وأينَ مثلُ الأخِ الصَّالحِ؟ أهلُك يقتسِمونَ ميراثَكَ، وهو قد تفرَّدَ بحُزنِك يدعو لك، وأنت بين أطباقِ الأرضِ[2].

فمِن الأهلِ مَن هو عدُوٌّ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، ومنهم مَن يَشتغِلُ عنِ الميتِ بحُصولِ ميراثِه، كما قيل:

تمُرُّ أقاربي جَنَباتِ قبرِي ... كأنَّ أقارِبي لا يَعرِفوني

وذو الميراثِ يقتسِمونَ مالي ... ولا يألونَ إن جحَدوا دُيونِي

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) ولفظه: «أو علم ينتفع به».

(٢) من كلام محمد بن يوسف الأصبهاني، أخرجه عنه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣١)، وتصحفت في المطبوع: بحزنك إلى: بجدثك!

وقد أخذُوا سِهامَهُمُ وعاشوا فيا للهِ أسرعَ ما نَسُوني[١]

قال الحسَنُ: أزهدُ النَّاسِ في عالمٍ جيرانُه، وشرُّ النَّاسِ لِميِّتٍ أهلُه، يبكون عليه ولا يقضونَ دَيْنَه[٢]!.

يشيرُ إلى أنَّهم يفعلونَ ما يَضرُّهُ ويتركونَ ما يَنفعُه، فالبكاءُ إذا كان معه نَدبٌ أو نَوْحٌ أو تسخُّطٌ يعذَّبُ به الميِّتُ، وإنَّما يبكون لفقدِ حُظوظِهم منه، فبكاؤُهم على أنفُسِهم لا على ميِّتِهم.

احتُضِرَ بعضُ الصَّالحينَ فبكى أبواهُ وولَدُه، فسألَهم عن بُكائِهم، فذكرَ أبواه ما يَتعجَّلانِه مِن فقدِه ووَحشتِهم بعدَه، وذكرَ ولدُه ما يتعجَّلُون مِن فقدِه ويُتمِهم بعدَه، فقالَ: كلُّكم يَبكي لدُنيايَ، أمَا مِنكم مَن يبكي لآخرَتي؟ أما مِنكم مَن يَبكي لِما يلقاهُ في التُّرابِ وَجهي؟ أمَا مِنكم مَن يبكي لِمُسائلةِ مُنكَرٍ ونَكيرٍ إيَّايَ؟ أمَا مِنكم مَن يبكي لِمُقامي بين يدَي ربِّي؟ ثمَّ صرَخَ صرخةً فماتَ رحمَه اللهُ تعالى[٣].

وأكثرُ الورَثةِ لا يوفونَ دينَ مُورِّثِهم، فيتركونَه مُرتهَناً مُحتبِساً بدَيْنِه، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ لقومٍ ماتَ مِنهم ميِّتٌ: «إنَّ صاحبَكُم يُحتبَسُ بدَيْنِه، فإنْ شِئتُم فأَسلِمُوه أو فُكُّوهُ»[٤] أو كما قالَ.

---

(١) ذكر البيت الأول ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٦٥) وأنشده لابن السماك.

وذكر ابن الجوزي الأول والثالث في «مثير الغرام الساكن» (ص: ٥١٥) مما قرئ على قبر.

وذكر الأبيات الثلاثة لابن السماك: ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ١٩٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٣١) وذكر هذا الزهد في العالم من أهله كثيرٌ من السلف.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٦) عن عابد بالبصرة.

(٤) شطر الحديث الأول قد ورد معناه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وأما هذا السياق، فهو من حديث الشعبي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وهذا اللفظ في شطره الثاني أخرجه الطيالسي =

وبكلِّ حالٍ؛ فليُوَطِّنِ الإنسانُ في الدُّنيا نفسَه على مُفارقةِ أهلِه، كما قيلَ:

أيَا فُرقةَ الأحبابِ لا بُدَّ لي منكِ ... ويا دارَ دُنيا إنَّني راحِلٌ عنكِ

ألَا أيُّ حيٍّ ليس بالمَوْتِ مُوقِناً ... وأيُّ يقينٍ منه أشبَه بالشَّكِّ[1]

ولا يَنتفِعُ الميِّتُ بعدَ موتِه بأهلِه ولا غيرِهم إلَّا باستغفارهم[2] له ودُعائِهم وترَحُّمِهم، أو صدَقَتِهم عنه، وينتفِعُ بزِيارةِ مَن زارَه ويُسلِّمُ عليه ويَستأنِسُ بذلك، وقد وَصَّى عمرُو بنُ العاصِ أن يُقيموا على قبرِه بعدَ دَفنِه بقدرِ ما تُنحَرُ جَزورٌ ويُقسمُ لحمُها، وقال: أستأنِسُ بكم وأنظرُ ما أُراجِعُ بِهِ رسُلَ ربِّي[3].

وفي «سنَنِ أبي داودَ» أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا دُفِنَ الميِّتُ قال: «سَلُوا له التَّثبيتَ فإنَّه الآن يُسأَلُ»[4].

وأمَّا إقامَتُهم عنده بعدَ ذلك فلا يَنتفِعُ بِهِ.

ضرَبتِ امرأةُ الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ على قبرِه بالبقيعِ فُسْطاطاً سنةً،

= في «مسنده» (٩٣٤)، وبنحوه أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٧٥١) (٦٧٥٢) (٦٧٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٥٦)، ولفظهم: «فإن شتتم فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله».

(١) أنشده أبو الفتوح الطائي في «الأربعين في إرشاد السائرين»، من طريق ابن أبي الدنيا قال: أنشدنا أبو بكر السعيدي الزهري فذكر أبياتاً (ص: ٧٨)، وهو كذلك في «التدوين لأخبار قزوين» (٣/ ٣١٢).

(٢) في (ف): «بالاستغفار».

(٣) أخرجه مسلم في آخر حديث طويل (١٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢١٣).

ثمَّ نزعَتْه بعدَ السَّنةِ وانصرَفَت، فسمِعوا هاتفاً بالبقيعِ يقولُ: هل وجَدوا ما فقدوا؟ فأجابَه مُجيبٌ مِن النَّاحيةِ الأخرى: بل يئِسوا فانقلَبُوا[١].

لَمَّا دُفِنَ داودُ الطَّائيُّ حضرَ جنازتَه أهلُ الكوفةِ، وأثْنى عليهِ ابنُ السَّمَّاكِ بأعمالِه الصَّالحةِ، والنَّاسُ يُصدِّقونَه على قولِه، فقامَ أبو بكرٍ النَّهشليُّ فقالَ: اللهمَّ لا تَكِلْه إلى عمَلِه، فأعجَبَ النَّاسَ قولُه[٢]، فلمَّا انصرَفوا قالَ ابنُ السَّمَّاكِ: يا داودُ! رجَعنا وترَكْناكَ، ولوْ أقَمْنا ما نفعناكَ[٣]، ثمَّ أنشأَ يقولُ:

انصرفَ النَّاسُ إلى دُورِهم ... وغُودِرَ الميِّتُ في رَمسِهِ

مُرتهَنَ النَّفسِ بأعمالِه ... لا يَرتجِي الإطلاقَ مِن حَبسِهِ

لنَفسِهِ صالحُ أعمالِه ... وما سِواها فعلى نفسِهِ[٤]

ومع هذا؛ فالمُؤمِنُ يُبشَّرُ في قبرِه بصَلاحِ ولَدِه مِن بعدِه لتقَرَّ عينُه، وأعمالُ الأحياءِ تُعرَضُ على أقارِبِهم مِن المَوْتى، فيُسَرُّونَ بالأعمالِ الصَّالحةِ ويدعونَ لأهلِها بالثَّباتِ[٥] والزِّيادةِ، وتسوؤهمُ الأعمالُ السَّيِّئةُ ويدعونَ لأهلِها بالتَّوبةِ والمُراجعةِ، وفي ذلك آثارٌ وأحاديثُ كثيرةٌ، قد ذُكِرَت في «أهوالِ القُبورِ» في موضعٍ آخرَ، وتنزلُ

---

(١) علقه البخاري في الجنائز، قبل حديث (١٣٣٠)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٣١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠٩) وليس فيه ذكر داود، وفي «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٠ و٣٣) أنه قاله على قبر ابنٍ لعمر بن ذر.

(٤) لم أجد من نسب الأبيات لابن السماك إلا المصنف رحمه الله تعالى، ومن نقل منه. ولم أجد هذا السياق في القصة مجموعاً كما هنا. وهذه الأبيات الثلاثة ذكرها أسامة بن منقذ غير منسوبة في «المنازل والديار» (ص: ٦٩). وذكر نحوها ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ٩٦).

(٥) في (ف): «بالتوبة» سبق نظر.

الملائكةُ عند موتِ المؤمنِ بالبُشرى له، ويُقالُ له: لا تخَفْ ممَّا أنت قادمٌ عليه، ولا تحزَن على مَن خلَّفْتَ مِن أهلِكَ؛ فإنَّ اللهَ يتكفَّلُ بهم، فتقَرُّ عينُ المؤمنِ بذلك[١].

فهذا أحدُ الأخلَّاءِ الثَّلاثةِ، وهو الأهلُ، يَصِلون مع خليلِهم إلى بابِ الملكِ وهو اللَّحدُ، ثمَّ يرجعونَ عنه.

* * *

وأمَّا الخليلُ الثَّاني، وهو المالُ؛ فهو يَرجعُ[٢] عن صاحبِه أوَّلاً، ولا يدخلُ معَه قبرَه، ورُجوعُه كنايةٌ عن عدمِ مُصاحبتِه له في قبرِه ودخولِه معه.

وقد فسَّرَ بعضُهم المالَ الرَّاجعَ بمَن يتبعُه مِن رقيقِه، ثمَّ يرجعونَ مع الأهلِ[٣]، فلا يَنتفِعُ الميِّتُ بشيءٍ مِن مالِه بعد موتِه إلَّا بما كان قدَّمَه بين يديهِ، فإنَّه يقدمُ عليه وهو داخلٌ في عملِه الذي يَصحبُه في قبرِه، فأمَّا ما خلَّفَه وترَكَه فهو لورَثتِه لا له، وإنَّما كان خازناً له[٤] لورثَتِه.

وفي «صحيحِ مُسلمٍ» عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «يقولُ ابنُ آدمَ: مالي مالي، وهل لكَ إلَّا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبِستَ فأبلَيْتَ، أو تصدَّقتَ فأمضَيْتَ»[٥].

وفيهِ أيضاً عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يقولُ العبدُ: مالي مالي، إنَّما له مِن مالِه

---

(١) روى ابن أبي شيبة (٣٦٤٠٤) نحوه عن زيد بن أسلم.

(٢) في (ف): «فيرجع».

(٣) قال الداودي: «المراد بالمال: ما يلقى عليه من سريره، وما يلبسه أهله، وما يخرج وراءه من رقيقه» نقله ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٩/ ٦١١).

(٤) «له» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه (٢٩٥٨).

ثلاثٌ: ما أكلَ فأفنى، أو لبِسَ فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سِوى ذلك فهو ذاهبٌ، وتارِكُه للنَّاسِ»[١].

وفي «صحيحِ البُخاريِّ» عنه ﷺ قال: «أيُّكم مالُ وارثِه أحبُّ إليهِ مِن مالِه؟» قالوا: ما مِنَّا إلَّا مالُه أحبُّ إليهِ مِن مالِ وارثِه، قال: «فإنَّ مالَه ما قدَّمَ، ومالَ وارثِه ما أخَّرَ»[٢].

فلا ينتفِعُ العبدُ مِن مالِه إلَّا بما قدَّمَه لنَفسِه وأنفقَه في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فأمَّا ما أكلَه ولبِسَه فإنَّه لا له ولا عليه، إلَّا أن يكون فيه نيَّةٌ صالحةٌ، وقيل: بل يُثابُ عليه مُطلقاً، فأمَّا ما أنفقَه في المعاصي فهو عليهِ لا له، وكذلك ما أمسَكَه ولم يُؤدِّ حقَّ اللهِ عزَّ وجلَّ منه فإنَّه يُمثَّلُ له شُجاعاً أقرعَ، يتبعُه وهو يفِرُّ منه، حتى يأخُذَ بلِهْزِمَتِه[٣] ويقولَ: أنا مالُك أنا كنزُك، ويُلقِمُه يدَه فيَقضِمُها قضمَ الفحلِ[٤]، وإن كان المكنوزُ ذهباً أو فضَّةً جُعِلَ صفائحَ صفائحَ[٥] فأُحمِيَ عليها، ثمَّ كُوِيَ بها جَبينُه وجَبْهتُه وجنبُه[٦]:

لا تدَّخِرْ غيرَ التُّقَى ... فالمالُ لا يُدَّخَرُ

فآخرُ الأمرِ بنا ... اعتَدِلوا واعتَبِرُوا[٧]

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦٤٤٢).

(٣) اللهازم: أصول الحنكين، وقيل هما العظمان تحت الأذنين. كما في «النهاية».

(٤) أخرج البخاري (١٤٠٣)، ومسلم (٩٨٨) هذا المعنى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) لم يكررها في (ف).

(٦) روى هذا المعنى مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) في حاشية (ت): «بلغ». ولم أجد هذا الشعر عند غير المصنف رحمه الله.

فمَن تحقَّقَ هذا، فليُقدِّمْ لنفسِه مِن مالِه ما يُحبُّ[١]؛ فإنَّه إذا قدَّمَه كان له وبين يديهِ ينتفعُ به في دارِ الإقامةِ، وإذا خلَّفَه كان لغيرِه لا له، وقد يكون هو ممَّن يحبِسُه عنِ النَّفقةِ في سبيلِ اللهِ، فيراهُ يومَ القيامةِ في ميزانِ غيرِه، فيتحسَّرُ على ذلك فيدخلُ هو بمالِه النَّارَ، ويدخلُ وارثُه بهِ الجنَّةَ.

فالعاقلُ هو مَن قدَّمَ مِن مالِه ما يحبُّه فيفوزُ به في دارِ الإقامةِ؛ فإنَّ مَن أحبَّ شيئاً استصحبَه معه، ولا يدَعُه لغيرِه فيندمَ حين لا ينفعُه النَّدمُ.

ذكرَ ابنُ أبي الدُّنيا مِن حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُبَيدِ بنِ عُمَيرٍ مُرسَلاً: أنَّ رجُلاً قالَ: يا رسولَ اللهِ! ما لي لا أحبُّ الموتَ؟ قال: «لك مالٌ؟» قال: نعَم، قال: «فقدِّمْه، فإنَّ قلبَ المرءِ مع مالِه إن قدَّمَه أحبَّ أن يلحقَ بهِ، وإن أخَّرَه أحبَّ أن يتأخَّرَ معَه»[٢].

وقال بعضُ الملوكِ لأبي حازمٍ الزَّاهدِ: ما بالُنا نكرَه الموتَ؟ قال: لتَعظيمِك الدُّنيا، جعلتَ مالَك بين عينيكَ فأنتَ تكرَه فِراقَه، ولو قدَّمتَه لآخرتِك لأحببتَ اللُّحوقَ بـهِ[٣]، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

كان ابنُ عمرَ لا يُعجِبُه شيءٌ مِن مالِه إلَّا قدمَه للهِ، حتَّى إنَّه كان يوماً راكباً على ناقةٍ فأعجبَتْه، فنزلَ عنها في الحالِ، وقلَّدَها وجعَلَها هَدْياً للهِ عزَّ وجلَّ[٤]، وكان له جاريةٌ يحبُّها حُبًّا شديداً فأعتقَها، وزوَّجَها بمولاه نافعٍ، فولدَت لنافعٍ

---

(١) في (ف): «يجب».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٣٤)، والثعلبي في تفسيره (٢٢/ ١٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٥٩) هكذا مرسلاً.

(٣) أبو حازم سلمة بن دينار الزاهد المديني رحمه الله تعالى، وموعظته لسليمان بن عبد الملك أخرجها الدارمي في «سننه» (٦٧٣). لكن جوابه ثمة: «لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا...».

(٤) انظر الروايات في هذا في «حلية الأولياء» لأبي نُعيم (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

أولاداً، فكان ابنُ عمرَ ربَّما أخذَ بعضَ أولادِها فشمَّه، وقال: واهاً لريحِ فلانةَ، يعني أمَّ ذلك الولَدِ[1].

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٥٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٣١).

وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (الأصل الحادي عشر والمئة) (٢/ ٦٦). وقد انفرد بآخر القصة: محمد بن يزيد بن خُنَيس، وهو ليس ممن تلحقه التهمة في دينه.

وإنما التهمة لاحقة بمفتون من طُرَّاح السُّنَّةِ وشانئي الصحابة، فاتخذ من هذا الأثر ذريعة إلى الوقيعة في عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واتهامه بالتولُّه في النساء!، فشغله مرض قلبه بـ«واهاً لريح فلانة» عن أول الأثر، وهو أنها كانت جارية له تحل له بملك اليمين ويحبها حباً شديداً وتعجبه، لكنه لما سمع قول الله تعالى ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آثر ما عند الله على لذة الدنيا التي كان متمكناً منها، فقدَّمها لله وأعتقها.

على أن محمد بن يزيد بن خنيس قد روى تلك اللفظة المنكَرة عن عبد العزيز بن أبي روّاد المكّي، الذي انفرد بروايتها عن نافع، وقد قال فيه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٩): «وكان ممن غلب عليه التقشف حتى كان لا يدري ما يحدث به، وروى عن نافع بأشياء لا يشكّ مَن الحديثُ صناعتُه إذا سمعها أنها موضوعة، كان يحدث بها توهماً لا تعمداً، ومَن حَدَّث على الحسبان وروى على التوهم حتى كثر ذلك منه سقط الاحتجاج به، وإن كان فاضلاً في نفسه».

وقد روى البزار (كشف الأستار ٢١٩٤)، عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال عبد الله: حضرتني هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عز وجل، فلم أجد شيئاً أحبَّ إليَّ من مرجانة ـ جارية لي رومية ـ فقال: هي حرة لوجه الله، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها. وعند عبد بن حميد (الدر المنثور ـ تفسير آل عمران/ ٩٢) مثله وزاد: فأنكحها نافعاً.

وأخرج أبو داود في «الزهد» (٣١٩) نحوه، وسماها رميثة، وزاد: ثم أنكحها نافعاً مولاه.

فَقَطْعُ الكلامِ من سياقه للطعن في الصحابة شناعةٌ في المكر ومرضٌ في القلب، نعوذ بالله من الخذلان. وهذا من ابن عمر رضي الله عنه معدود في المناقب لا في المثالب!

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٩٥) عن عبد الله بن أبي عثمان، قال: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها: رميثة، وقال: إني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإني والله إن كنتُ لأحبُّكِ في الدنيا، اذهبي فأنت حرة لوجه الله عز وجل. =

دخلَ رجلٌ على أبي ذرٍّ، فجعلَ يُقلِّبُ بصرَه في بيتِه، فقال: يا أبا ذرٍّ! أين متاعُكم؟ قال: إنَّ لنا بيتاً نوجِّهُ إليه صالحَ مَتاعِنا، قال: إنَّه لا بدَّ لك مِن مَتاعٍ ما دُمتَ هاهنا، قال: إنَّ صاحبَ المنزلِ لا يَدَعُنا فيه(١).

يـا جامـعَ الأمـوالِ بـادِرْ صرفَها ... واعـلَـمْ بـأنَّ الطَّالبيـنَ حِثـاثُ

خُـذ مِـن تراثِـك مـا استطعتَ فإنَّمـا ... شـركـاؤُكَ الأيَّـامُ والأحـداثُ

لـم يقـضِ حـقَّ المـالِ إلَّا معشَـرٌ ... نظَـرُوا الزَّمـانَ يعيـثُ فيـه فعاثُـوا

مـا كان فيـه فاضِـلاً عـن قُوتِـه ... فـليعلـمَـنَّ بـأنَّـه ميـراثُ(٢)

قال الحسنُ: بئس الرَّفيقانِ الدِّرهمُ والدِّينارُ، لا يَنْفعانك حتَّى يُفارقانِك(٣).

= وروى أبو نعيم كذلك، عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ دعا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما جارية له فأعتقها. وقد رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٠٧٨) عن مجاهد: قال كان ابن عمر قائماً يصلي فأتى على هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتق جارية له، وهو يصلي قد أراد أن يتزوجها. أي أعتقها وهو يصلي: أشار إليها بيده.

وروى أبو داود في «الزهد» (٣٠٧) نحوه من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه.

وكذلك روى أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل.

فويلٌ لمُبغِضِ مثلِ هؤلاء المتتبع لِما يظنه من عثراتهم، وإنما هو العاثر بأذيال خيبته. نسأل الله السلامة والعافية لنا وللمؤمنين.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٦٨).

(٢) الأبيات للشريف الرضي، وهي في «ديوانه» (ص: ١٧٨) من قصيدة في (١٣) بيتاً، وقد جاء أولها: «يا آمن الأقدار بادر صرفها». «حِثاث»: جمع حثيث: أي سريع.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٥).

وقيلَ لبعضِهم: جمعَ فلانٌ مالاً، قال: هل جمعَ عُمراً ينفقُه فيه، قالوا: لا، قال: ما جمعَ شيئاً[١].

جمعتَ مالاً ففكِّر هل جمعتَ لهُ ... يا جامعَ المالِ أيَّاماً تفرِّقُه

المالُ عندكَ مَخزونٌ لوارثِهِ ... ما المالُ مالُك إلَّا حينَ تنفقُه[٢]

مَن قَدَّم اليومَ شيئاً قَدِم عليه غداً، ومَن لم يقدِّمْ شيئاً قدِمَ على غيرِ شيءٍ، فطالَ فقره في دارِ الإقامةِ.

قالَ بعضُ[٣] السَّلَفِ: ابنَ آدمَ! إنَّما تسكنُ يومَ القيامةِ فيما بنيتَ، وتنزِلُ يومئذٍ على ما نقلتَ في حياتِكَ مِن متاعِكَ[٤].

دخلتِ امرأةٌ على عائشةَ قد شُلَّتْ يدُها، فقالت: يا أمَّ المؤمنينَ! بتُّ البارحةَ صحيحةَ اليدِ فأصبحتْ شَلَّاءَ، قالت عائشةُ: وما ذاك؟ قالت: كان لي أبوَانِ مُوسِرانِ، كان أبي يُعطي الزَّكاةَ، ويَقري الضَّيفَ، ويُعطي السَّائلَ، ولا يَحقِرُ مِن الخيرِ شيئاً إلَّا فعَلَه، وكانت أمِّي امرأةً بخيلةً مُمسِكةً لا تصنعُ في مالِها خيراً، فماتَ أبي، ثمَّ ماتَتْ أُمِّي بعدَه بشهرينِ، فرأيتُ البارحةَ في منامي أبي، وعليه ثوبانِ أصفَرانِ بين يديهِ

---

(١) أخرج نحوه الختلي في «الديباج» (٧) مما ذكره أبو محمد النميري بلفظ آخر. وأخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه الخطيب البغدادي في «البخلاء» (٣١٠).

(٢) أنشدهما الختلي في «الديباج» (٨) لأبي بكر بن خراش من أبيات. ونسبهما الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٢/ ٦٩) لأبي بطال، وأنشدهما الخطيب البغدادي من طريق ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن في «البخلاء» (٣١١).

(٣) «بعض» سقطت من (ف).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٧١) من كلام خالد بن يزيد بن معاوية.

نهرٌ جارٍ، قلتُ: يا أَبَهْ! ما هذا؟ قال: يا بُنَيَّةُ! مَن يعملْ في هذه الدُّنيا خيراً يرَه، هذا أعطانيهِ اللهُ تعالى، قلتُ: فما فعلَتْ أمِّي؟ قال: وقد ماتَتْ أمُّكِ؟ قلتُ: نعم، قال: هيهاتَ، عدَلَتْ عنَّا، فاذهبِي فالتمِسِيها ذاتَ الشِّمالِ، فمِلتُ عن شِمالي، فإذا أنا بأمِّي قائمةً عُريانةً، مُتَّزرةً بخِرقةٍ بيدِها شُحيمَةٌ، تنادي: والَهفاه، واحَسْرتاهُ، واعَطَشاهُ، فإذا بلغَها الجَهْدُ دلَكَتْ تلكَ الشُّحيمةَ براحَتِها ثمَّ لحسَتْها، وإذا بين يديها نهرٌ جارٍ، قلتُ: يا أُمَّهْ[1]! ما لكِ تُنادينَ العطَشَ وبين يديكِ نهرٌ جارٍ؟ قالت: لا أُترَكُ أن أشربَ منه، قلتُ: أفَلا أسقيكِ؟ قالت: ودِدْتُ أنَّكِ فعَلتِ، فغرَفْتُ لها غَرفةً فسقَيْتُها، فلمَّا شرِبَتْ نادى مُنادٍ مِن ذاتِ اليمينِ: ألَا مَن سقَى هذه المرأةَ سَلَّتْ يمينُه، مرَّتينِ، فأصبحتُ شَلَّاءَ اليمينِ، لا أستطيعُ أن أعملَ بيميني. قالت لها عائشةُ: وعرَفْتِ الخِرقةَ؟ قالت: نعم يا أمَّ المؤمنينَ، وهي التي رأيتُها عليها، ما رأيتُ أمِّي تصدَّقَت بشيءٍ قطُّ إلَّا أنَّ أبي نحَرَ ذاتَ يومٍ ثوراً، فجاءَ سائلٌ، فعمدَتْ أمِّي إلى عظمٍ عليه شُحَيمةٌ فناولَتْها إيَّاه، وما رأيتُها تصدَّقَت بشيءٍ إلَّا أنَّ سائلاً جاء يسألُ، فعمِدَت أمِّي إلى خرقةٍ فناولَتْها إيَّاه، فكبَّرَت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها، وقالت: صدَقَ اللهُ وبلَّغَ رسولُه ﷺ: مَن ﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] خرَّجه الحافظُ أبو موسى المَدينيُّ في كتابِه «الترغيب والترهيب» مِن طريقِ أبي الشَّيخِ الأصْبهانيِّ الحافظِ، بإسنادٍ حسَنٍ[2].

مَن خرَجَ إلى سفَرٍ مِن أسفارِ الدُّنيا بغيرِ زادٍ ندِمَ حيثُ يحتاجُ إلى الزَّادِ،

---

(١) «أمه» سقطت من (ف).

(٢) كتاب الحافظ أبي موسى المديني «الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية»، وهو مفقود. وقد روى هذا الأثر مختصراً: ابن أبي الدنيا في «مجابي الدعوة» (٧١) (٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٢) بسند منقطع، قال الذهبي: «وأما المنام فسنده واه».

فلا ينفعُه النَّدمُ، وربَّما هلَكَ، فكيفَ بمَن رحلَ إلى سفرِ الآخرةِ مع طُولِه ومشقَّتِه بغيرِ زادٍ؟.

السُّقمُ في جِسمي له ترْدادُ والعُمرُ ينقُصُ والذُّنوبُ تُزادُ

ما أبعدَ سَفْرتي وما لي زادُ ما أكثرَ بَهْرَجي ولِي نُقَّادُ[1]

كان عليٌّ رضيَ اللهُ عنه يقولُ في اللَّيلِ: آه مِن قلَّةِ الزَّادِ وبُعدِ السَّفَرِ ووَحشةِ الطَّريقِ[2].

وبكى أبو هريرةَ عند موتِه وقالَ: إنَّما أبكي على بُعدِ سفَرِي وقلَّةِ زادي[3].

إذا شكا مِن قلَّةِ الزَّادِ مَن زادُه كثيرٌ، فكيفَ يقولُ مَن لا زادَ له؟

يا جامعَ المالِ ما أعدَدْتَ للحُفَرِ هل يُغفِلُ الزَّادَ مَن أضحى على سفَرِ[4]

قال ابنُ السَّمَّاكِ: ما بكَوا لسَكرةِ الموتِ، إنَّما بكَوْا لحَسْرةِ الفَوْتِ، خرَجوا مِن دارٍ لم يتزوَّدُوا مِنها، وقدِموا على دارٍ لا زادَ لهم فيها[5].

إذا أنتَ لم ترحَلْ بزادٍ مِن التُّقى وأبصرتَ بعدَ الموتِ مَن قَد تزوَّدَا

نَدِمتَ على أن لا تكونَ شَرِكْتَه وأرصَدْتَ ما قد كان مِن قبلُ أَرصَدَا[6]

---

(١) ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ١٩٢) غير منسوبين.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مقتل علي رضي الله عنه» (١٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٥).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات نعيم) (ص: ٣٨). ومن طريق ابن المبارك: عبد الله بن أحمد في زياداته على «الزهد» (٨٣١).

(٤) ذكره ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٥٤) من أبيات، غير منسوب.

(٥) أخرجه أبو القاسم الحنائي في «فوائده» (١٩٨).

(٦) البيتان للأعشى ميمون بن قيس من قصيدته التي يمدح بها النبي ﷺ - وهو لم يدخل في الإسلام - وهي في «ديوانه» (ص: ١٣٧).

وأمَّا الخليلُ الثَّالثُ: فهو العمَلُ، وهو الخليلُ الذي يدخُلُ مع صاحبِه قبرَه فيكونُ معه فيه، ويكون معَه إذا بُعِثَ، ويكون معَه في مواقفِ القيامةِ، وعلى الصِّراطِ، وعند الميزانِ، وبه تُقتسَمُ المنازلُ في الجنَّةِ والنَّارِ.

قالَ اللهُ تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

وقالَ تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

قال بعضُ السَّلفِ: في القبرِ[١]. يعني أنَّ العملَ الصَّالحَ يكون مِهاداً لصاحبِه في القبرِ، حيثُ لا يكونُ للعبدِ مِن متاعِ الدُّنيا فراشٌ ولا وِسادٌ ولا مِهادٌ، بل كلُّ عاملٍ يفترِشُ عملَه ويتوسَّدُه مِن خيرٍ أو شرٍّ.

فالعاقلُ مَن عمَّرَ بيتَه الذي تطولُ إقامتُه فيه، ولو عمرَهُ بخرابِ بيتِه الذي يرتحِلُ عنه قريباً لم يكُن مَغبوناً بل كان رابِحاً.

قالَ وهبُ بنُ مُنبِّهٍ: قال لقمانُ لابنِه: يا بنيَّ! لكلِّ إنسانٍ بيتانِ؛ بيتٌ غائبٌ وبيتٌ شاهدٌ، فلا يُلهِيَنَّكَ بيتُكَ الشَّاهدُ الذي فيه عمُرُكَ القليلُ عن بيتِك الغائبِ الذي فيه عمُرُكَ الطَّويلُ[٢].

وقال بعضُ السَّلَفِ: اعمَلْ للدُّنيا على قدرِ مُكثِكَ فيها، واعمَل للآخرةِ على قدرِ مُكثِكَ فيها[٣].

وقال بعضُهم: لابنِ آدمَ بيتانِ؛ بيتٌ على ظهرِ[٤] الأرضِ، وبيتٌ في بطنِ

---

(١) هو قول مجاهد رحمه الله، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٥٩١). أي يمهدون في القبر.

(٢) ذكره ابن الجوزي في «مرافق الموافق» في الوعظ (ص: ٥٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٨٦)، وفي «الزهد» (٤٧٥) من قول معدان.

(٤) «ظهر» سقطت من (ف).

الأرضِ، فعمَدَ إلى الذي على وجهِ الأرضِ فزخرَفَه وزيَّنَه، وجعلَ فيه أبواباً للشَّمالِ وأبواباً للجَنوبِ، ووضعَ فيه ما يُصلِحُه لشِتائِه وصَيْفِه، ثمَّ عمَدَ إلى الذي في بطنِ الأرضِ فأخربَه، فإذا قيل: هذا البيتُ الذي أصلَحْتَه كم تقيمُ فيه؟ قال: لا أدري، قيل له: والذي أخرَبْتَه كم تقيمُ فيه؟ قال: فيه مُقامي، قال: تُقِرُّ بهذا على نفسِكَ وأنتَ رجُلٌ تعقِلُ[١]؟!

كان عثمانُ بنُ أبي العاصِ رضيَ اللهُ عنه في المقابرِ في جنازةٍ ومعه شابٌّ مِن أقاربِه فيه بعضُ غَفْلةٍ، فقال له عُثمانُ: اطَّلِع إلى بيتِك، فاطَّلَعَ في القبرِ، فقال له: ما ترى؟ قال: أرى بيتاً ضيِّقاً يابِساً[٢] مُظلِماً ليس فيه طعامٌ ولا شرابٌ ولا زوجةٌ، وقد تركتُ بيتاً فيه طعامٌ وشرابٌ وزوجةٌ، قال: فإنَّ هذا واللهِ بيتُك، قال: صدقتَ، أما واللهِ لو رجَعتُ نقلتُ مِن ذلك إلى هذا[٣].

قال الحسنُ: تبِعَ رجلٌ مِن المسلمينَ جنازةَ أخيهِ، فلمَّا دُلِّيَ في قبرِه قالَ الرَّجلُ: ما أرى تبِعَكَ مِن الدُّنيا إلَّا ثلاثةُ أثوابٍ، أما واللهِ لقد تركتُ بيتي كثيرَ المتاعِ، أما واللهِ إن أقالَني اللهُ حتَّى أرجِعَ لأُقدِّمَنَّه بين يديَّ، قال: فرجَعَ فقدَّمَه واللهِ بين يديهِ فكانوا يرَوْنَ أنَّه هو[٤].

كان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، يُنشِدُ هذه الأبياتَ كثيراً:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٤)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٨٣).

(٢) «يابساً» سقطت من (ف).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١١٣٤) (٢٣٦٦)، وابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٥).

(٤) أي أنه هو الحسن رحمه الله تعالى. ولم أجد هذا الأثر عند غير المصنف رحمه الله، وقد وقع في المطبوعات، ومن بعض من نقله عن المصنف في الغلط، حيث وصلوا به قوله: «كان عمر بن عبد العزيز» في الخبر الآتي، ومنهم من زاد حروفاً ليست فيه.

مَـن كان حيـنَ تُصيبُ الشَّـمسُ جَبْهتَه ... أو الـغـبـارُ يخـافُ الشَّـيْنَ والشَّـعَثَا
ويألَـفُ الظِّـلَّ كـي تبقَـى بشاشَـتُه ... فسـوفُ يسـكُنُ يومـاً راغمـاً جدَثَـا
فـي ظـلِّ مُقـفِـرةٍ غَـبْـراءَ مُظلمـةٍ ... يُطيـلُ تحـت الثَّـرى فـي غمِّهـا اللُّبَثَـا
تـجـهَّـزِي بـجـهـازٍ تـبـلُـغـيـنَ بـه ... يا نفسُ قبلَ الرَّدَى لم تُخلَقِي عَبَثَا[1]

المؤمِن يأتيه عمَلُه الصَّالحُ في قبرِه في أحسنِ صورةٍ، فيُبشِّرُه بالسَّعادةِ مِن اللهِ، والكافرُ بعكسِ ذلك.

والأعمالُ الصَّالحةُ تُحيطُ بالمؤمنِ في قبرِه.

في «صحيحِ ابنِ حِبَّانَ» عن أبي هريرةَ مرفوعاً: «والذي نفسي بيدِه إنَّه ليَسمَعُ خَفْقَ نِعالِهم حين يُوَلُّونَ عنه، فإن كان مُؤمناً كانت الصَّلاةُ عند رأسِه، والزَّكاةُ عن يمينِه، والصَّومُ عن شِمالِه، وفعلُ الخيراتِ والمعروفُ والإحسانُ إلى النَّاسِ مِن قِبَلِ رجلَيْهِ، فيُؤتى مِن قِبَلِ رأسِه، فتقولُ الصَّلاةُ: ليس قِبَلِي مدخَلٌ»، وذكرَ سائرَ الأعمالِ كذلك، وقالَ في الكافرِ: «يُؤتى مِن هذه الجِهاتِ فلا يوجَدُ شيءٌ، فيجلِسُ خائفاً مرعوباً»[2].

قال عطاءُ بنُ يَسارٍ: إذا وُضِعَ الميِّتُ في لَحدِه، فأوَّلُ شيءٍ يأتيهِ عمَلُه، فيَضرِبُ فخِذَهُ الشِّمالَ، فيقولُ: أنا عمَلُك، فيقولُ: فأينَ أهلي وولَدي وعشِيرتي وما خوَّلَني اللهُ؟ فيقولُ: تركتَ أهلَك وولدَك وعشيرتَك وما خوَّلَك اللهُ وراءَ ظهرِك، فلم يدخُل معكَ قبرَك غيري، فيقولُ: يا ليتني آثَرْتُك على أهلي وولَدي وعشيرَتي وما خوَّلَني اللهُ إذ لم يَدخُل معي غيرُك[3].

---

(١) أنشده القالي في «أماليه» (٢/ ٣١٩) عن عمر بن عبد العزيز من شعر عبد الله بن عبد الأعلى القرشي. والرافعي في «تاريخ قزوين» (١/ ١٨٠).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣١١٣)، والحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) وصححه على شرط مسلم.

(٣) أخرجه عبد الجبار الخولاني في «تاريخ داريا» (ص: ٤٨).

قالَ يزيدُ الرَّقاشيُّ: بلَغَني أنَّ الميِّتَ إذا وُضِعَ في قبرِه احتوَشَتْهُ أعمالُه، ثمَّ أنطقَهَا اللهُ، فقالت: أيُّها العبدُ المنفرِدُ في حُفرتِه! انقطَعَ عنك الأخِلَّاءُ والأهْلونَ، فلا أنيسَ لك اليومَ غيرُنا، ثمَّ بكى يزيدُ وقالَ: طوبى لِمَن كان أنيسُه صالِحاً، والويلُ لِمَن كان أنيسُه وبالاً[1].

تزوَّدْ قريناً مِن فعالِك إنَّما ... قرينُ الفتى في القبرِ ما كان يفعَلُ
وإن كنتَ مشغولاً بشَيءٍ فلا تكُنْ ... بغيرِ الذي يرْضى بهِ اللهُ تُشغَلُ
فلنْ يصحَبَ الإنسانَ مِن بعدِ موتِه ... إلى قبرِهِ إلَّا الذي كان يعمَلُ
ألَا إنَّما الإنسانُ ضيْفٌ لأهلِهِ ... يُقيمُ قليلاً عندهم ثمَّ يَرحلُ[2]

انتهى.

والحمدُ للهِ وحدَه، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يومِ الدِّينِ[3].

فتنبَّهْ أيُّها الغافلُ لأمرِكَ، قبلَ أن تُرهَنَ بعملِك في قبرِك، وتزوَّدْ لطولِ سَفْرتِك، فكأنَّكَ بك في حُفرتِك، وتأهَّبْ بتحويلِ عُدَّتِك، قبل انقضاءِ مدَّتِك، قبلَ حُلولِ النَّدامةِ، ووُرودِ الأهوالِ دون القِيامَة، قبلَ أن تخلُوَ في قبرِك بالأعمال، وينصرِفَ مُشيِّعوكَ بالآمال، يتحدَّثونَ في قسمةِ ما خلَّفْتَ مِن العَقارِ والأموالِ.

تم[4].

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٦٦٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ٨٨). احتوشته: أحاطت به.

(٢) مما قرئ على قبر. ذكره ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» (ص: ٥١٥).

(٣) «إلى يوم الدين» ليس في (ف).

(٤) «تم» من (ف)، وفي حاشيتها بخطٍ آخر: «الحمد لله طالعت هذه الرسالة الشريفة، فوجدتها نافعة مفيدة، رحم الله لمؤلفها ولمن طالعها آمين». ورحمنا الله، وكل من نظر فيها، آمين.